# إسلامية الفنون من خلال

# إسهامات مجلة المسلم المعاصر

**محمد مراح***

**تقديم**

الفنون مجال مهم من المجالات التي تحتاج إلى جهود المفكرين والعلماء المسلمين بغية توجيهها وفق تعاليم الإسلام ومقاصده وأحكامه، أو تحقيق إسلاميتها. ويطرح هذا المجال تحديات خاصة على حركة إسلامية المعرفة بما هي رؤية في قضايا المعرفة ومناهجها ومصادرها تهدف إلى إعادة صياغتها صياغة جديدة.

وقد كان لمجلة **المسلم المعاصر**[1] فضل السبق بالاهتمام المركز بهذا المجال الحيوي منذ أعدادها الأولى. ونستطيع بدراسة المقالات والبحوث التي نشرت بها وقراءتها قراءة تركيبية أن نستخلص رؤية متكاملة تعكس تصوراً إسلامياً لمسألة الفنون ووظيفتها في المجتمع المسلم بما يجلي كثيراً من الغموض والتردد اللذين غلبا على كثير من الكتابات في هذه الخصوص.

ويتولى هذا البحث إنجاز مثل هذه القراءة عبر التحليل الكيفي والكمي للمقالات والبحوث المنشورة في عينة محددة من أعدادها واستعراض المضمون الفكري والمعرفي الذي تناول في أصحابه مسألة الفنون من جوانب عدة. وهذا العمل الذي نقوم به يستصحب في الحقيقة دعوة للمزيد من التعمق والتوسع في دراسة هذا الجانب من الفعاليات الثقافية الحيوية للمجتمع الإنساني حتى يمكن صبغه صبغة إسلامية وتكييفه بحيث

---

* ماجستير في الدعوة والإعلام من معهد الأصول بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة (الجزائر)، 1415هـ/1996م، وهو يعد للدكتوراه بالجامعة نفسها.

1 مجلة فصلية فكرية تعالج شؤون الحياة المعاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية، صدر العدد الافتتاحي في شؤال 1394هـ/نوفمبر 1974م، صدرت أولاً من بيروت ثم انتقلت إلى الكويت، ثم استقرت أخيراً في القاهرة. وبداية من العددين الحادي والخمسين والثاني والخمسين (اللذين صدرا في مجلد واحد) حتى العدد الرابع والستين صدرت بالاشتراك بين مؤسسة المسلم المعاصر والمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، صاحب الامتياز ورئيس التحرير المسؤول: الدكتور جمال الدين عطية. وهي حالياً تصدر مستقلة.

يحقق المجتمع المسلم من خلاله ما يخصه من مقاصد الشريعة في جعل نشاط الإنسان كله عبادة لله سبحانه وتعالى.

إذا بحثنا في مشكلات الإنسان المعاصر لوجدناها كلها –بلا استثناء– مجسدة في الفنون والآداب، فهي أنسب الوسائل وأقربها للنفس في التعبير عن ارتباط تلك المشكلات بمختلف أبعاد الإنسان فيما جرى به تيار الشعور المتدفق من عواطف ورغائب وأهواء تصطرع في النفس فتخلف بها عقداً وأدواءً نفسية تطفو على سطح السلوك والتصرفات، وما يعمر ساحة المجتمعات في مستويات علاقاتها كافة من نمو وتطور وصعود ورخاء، أو جمود وتخلف وهبوط وفاقة، ومن تقارب وتآلف وتآزر أو تباعد وتنافر وازورار، وما يسود علاقات الشعوب والأمم والحضارات فيما بينها من حرب وسلم، واستكبار وخنوع، وقوة وضعف، وكيد وانخداع. وقبل هذا كله ما تعج به ساحة الأفكار والمذاهب والأيديولوجيات من صراع وتدافع أو تحاور وتبادل. لهذا فالباحثون في علوم النفس والاجتماع والسياسة والتاريخ كثيراً ما يهرعون إلى الآداب والفنون يطلبون منها إمدادهم بما يخدم موضوعات بحثهم.

وغني عن البيان ما تمثله الآداب والفنون من مادة أساسية للنتاج الإعلامي عبر المطبوعات والمرئيات في الخيالة والرائي (السينما والتلفزيون)، وما يداعب أو يصك آذان المستمعين مما تبثه أمواج الإذاعات. فالفنون والآداب –إذاً– صورة العصر، تُطْلَب ملامحُه من خلالها، وتلك واحدة من سماته منذ الأزل.

لكن الذي يؤطرها ويحكم بواعثها إنما هو المذهب والمعتقد والأيديولوجية. ذلك الذي أفرز العديد من المذاهب والمدارس الفنية والأدبية خاصة في العصر الحديث لسرعة التطور وتعقده وكثافة مشكلات الإنسان.

وقد تأثرت الفنون والآداب في بلاد المسلمين في العصر الحديث تأثراً عميقاً بالمذاهب والمدارس الفنية والأدبية الغربية المعاصرة. وعلى الرغم من حرصها –في أحيان كثيرة– على التمسك بخصوصيات التعبير الفني والأدبي الموروث، إلا أن قوة الوافد وبريقه غلبت على انتهاج مسلك تطويري نابع من خصوصية الرؤية والمعتقد والموروث. فكان لزاماً أن تدرك فئة من أهل الفنون والآداب صحوة تستنطق تراثنا الغني لتعديل وجهة الفنون والآداب في مجتمعاتنا.

وفي هذا المضمار تندرج الدراسات والبحوث التي نشرتها مجلة المسلم المعاصر في مجال الفنون، وقد هدى مسحُ دراساتها على امتداد الأعداد المدروسة إلى تصنيفها ضمن المحاور الآتية:

1- النظرية الجمالية الإسلامية.

2- إسلامية الفنون المرئية.

3- جماليات السماع.

**النظرية الجمالية الإسلامية**

يُلاحظ أن هذا الموضوع أخذ حظاً وافراً من بحوث المجلة، فلا يمكن لأثر فني خال من الجمال أن ينتمي إلى الأدب والفن، فالجمال فيها عنصر أصيل وشرط أساس، إذ النفوس السوية ميالة للجمال تنساق له مشدوهة بتألقه وسحره. فلكل منا حظُّه من حب الجمال مهما كان من تفاوت بين درجات الاستجابة لذل السحر الخلاب، ولا تحْسب نفسٌ فقدت الإحساسَ بالجمال والشعور به في عداد الأحياء، فأصحاب الحس المتبلد والشعور المتحجر لاحظ له من الحياة إلا كحظ أدنى الجمادات والحيوانات، لأنهم فقدوا عنصراً مهماً من عناصرها.

والجمال حبيب إلى الإسلام يوسع له في رحابه مجالاً فسيحاً، ومسحةُ الجمال تعلو الإسلام في عقائده وتشريعاته، ومنهج دعوته، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل: 125)، وقال ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت:33)، والله تعالى جميل يحب الجمال، فما الحكمة إلا جمال تألقت به النفس المؤمنة ففاضت آثاره على سلوك المؤمن، وما القول الحسن إلا جمال يكسو الكلمة على اختلاف وسائل آدائها -مقروءة أو مسموعة- فهي وسيلة التواصل بين الأفراد يتسلل المؤمن من خلالها إلى القلوب، تحفها هالة من الحسن والجمال فتصيب من تلك القلوب مرماها، فهي ماء عذب يسكب على الأرض الموات فينعشها، فإذا هي حدائق مزهرة غناء فواحة بأريج عطر يفئ إلى ظلال أفنانها الباسقة كلُّ قلب مكدود هدَّه الضنى، وأنهكه المشي في التيه والجري وراء السراب. فالجمال -إذاً- عنصر أصيل في الإسلام موزعة مقاديره على مختلف شعابه، كل وحظه المقسوم له

منه، فليس بدعاً أن يظفر الفن الإسلامي بنصيب وفير منه، ولا عجب أن أبعد من دائرته كل عمل فني يغفل البعد الجمالي الذي لن يلقى بغيره الحظوة والقبول.

والجمال قبل هذا كله عنصر أصيل في نظام الكون ومظاهره، وهو مركوز في النفس التي تهتز له، والفن الإسلامي فن تفرزه النفس المسلمة وقد سرت أشعة الجمال في الحنايا دون أن تصطدم أو تحاول التصادم مع ذلك النظام الكوني.[2]

والفنون الإسلامية –على اختلافها– ينبغي لها أن تجسد عنصر الجمال في الأعمال الناطقة باسمها، لهذا "فالأفضل عرض أبعاد النظرة الإسلامية في الجمال، ومحاولة التخطيط لفلسفة جمالية شاملة تستوحي نظرة الإسلام الموسوعية للحياة والكون".[3]

والبداية تكون من القرآن الذي يعد الجمال إحدى الوظائف التي تؤديها آياته للإنسان، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ. وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ (الصافات:6-7). وقوله: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ، وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:5-8).

وليس من المصادفة أن تسمى أكثر من أربع وعشرين سورة من سور القرآن الكريم بأسماء بعض من آيات الله في الكون والطبيعة، كالليل والشمس والقمر والنحل والدخان والفلق والعنكبوت والرعد وغيرها.

والآن ما هي معالم النظرة الجمالية التي يريد القرآن أن نتحلّى بها كما عرضتها أعداد **مجلة المسلم المعاصر** المدروسة؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تقتضي الوقوف عند الآتي:

## 1– الجمال والحقيقة:

---

[2] محمد مراح: "مشروعية الأدب في الإسلام وخصائصه"، مجلة الفيصل، العدد 212، صفر 1415هـ/ يوليو أغسطس 1994م، ص22.

[3] د. محمد كمال إبراهيم جعفر: "آفاق الإنبثاق الإسلامي لفلسفة الجمال والفن"، مجلة المسلم المعاصر، العدد 11، 1397هـ/ 1977م، ص93.

يذهب بعض الدارسين إلى أن "صدق التعبير هو السمة الظاهرة في العمل الفني، وهي التي تسمح بأن ننعته بالجمال، وأن الشيء يخلو من الجمال إذا خلا من الصدق، وليس معنى هذا أن الصدق في ميدان الفن مطابق للصواب في ميدان البحث عما هو حق، إذ الصدق في ميدان الفن مطابق للصواب في ميدان البحث عما هو حق، إذ الصدق في ميدان التعبير متعلق بالوجدان وليس بالعقل".[4] فليس مهمَّاً –إذن– التعبير عن الحقيقة كما هي، إنما يبلغ العمل الفني غايته من التجويد والإمتاع إذا تحقق فيه الصدق في التعبير النابع عن قوة الشعور الوجداني، أما أن يكون صدق التعبير عن الحقيقة هدف العمل الفني، فتلك ليست من غاياته التي ينشدها!

هذه واحدة من أخطر منزلقات النظريات الجمالية الغربية التي تفصل بين الجمال والحق والخير. ونتيجتها تفتيت الذات الإنسانية وقواها النفسية الوجدانية والعقلية الإدراكية، فتنعكس آثارها السلبية الواضحة في تصورها لوظيفة الفن في الحياة والمجتمع.

لكن القرآن الكريم يربِّي فينا التذوق الجمالي، وكيفية التعبير عن الأشياء والموجودات الجميلة في أعمالنا الفنية. نلاحظ في العديد من آياته تقديم "الصور الجمالية والحكم عليها بما يشعر الإنسان بضرورة تصحيح نظرته الجمالية حتى تتلاءم مع الحقيقة، فتترتب على ذلك صحة السلوك، وهذا من الوجهة التربوية توحيد للذات الإنسانية، وربط وثيق بين ملكاتها، وتهيئة حقيقية لأنسب الظروف للخلق والإبداع".[5]

إن هذا الذي ذهب إليه أحد البحوث المنشورة في المجلة يتأكد بالنظر إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر:27–28). وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر:21). فهذه الصور الحسية الجميلة يوجه إليها القرآن حواسّنا وعقولنا ويسلك آثارها في مجرى مشاعرنا، تعهداً للإيمان

---

4 د. محمد علي أبوريان: فلسفة الجمال، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1988م، ص81.

5 د. محمد كمال إبراهيم جعفر، مرجع سابق، ص98.

بالرعاية والنمو، وإيقاظاً للحس الجمالي فينا، فلا ترى أبلغ من الحقيقة تعبيراً ولا أصدق تصويراً. بل إن التعبير الجمالي عن الحقيقة يمتد إلى عوالم الغيب، فالجنة التي أعدت للمتقين، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، يصور القرآن الكريم ما فيها بألفاظ تتطابق مع حقيقة ما تشتهيه النفس من أسباب النعيم والراحة والإرضاء الجمالي لمختلف الحواس والمشاعر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ، يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (الزخرف:69-73). وقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ، كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ، يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ (الدخان:51-55).

فالتصوير الجميل بارز في تلازمه مع الحقيقة الغيبية التي ستصبح -لا محالة- في يوم موعود شهادة، فالقرآن الكريم -بهذا- "قد وضع أيدينا على الحقائق الكبرى في الدنيا والآخرة، وأعطى للمؤمن قناعات تامة لا تتزعزع في كثير من الجوانب، ولكن يبقى الباب مفتوحاً للكدح والتجربة من أجل الوصول إلى حقائق جديدة ثابتة، ومن المعلوم أن صور الجمال لا تعد، وأن الحقائق المختلفة لا تحدها حدود، والأديب المسلم يستطيع أن ينطلق دون عائق من عوالم الحق والخير والتوحيد والعدل والحب والرجاء".[6]

إن الحقيقة في المبدأ الإسلامي تقدم على الجمال إذا تعارضا، إذ "الفكرة الإسلامية قد قامت على محور المبدأ الأخلاقي، فالحقيقة هنا تعرف (بالحق) وتعرف هناك في الغرب (بالجمال)، وكلتا الفكرتين تكمل الأخرى، ولكن حينما يلزم التضحية بعنصر منهما فإن المبدأ الإسلامي لا يتردد في أن يضحي بالجمال من أجل الحق، وهذا الاختيار لا يقوم على أساس عقلي، بل بتأثير الآلية النفسية، والدوافع الداخلية الكامنة في (الطبيعة) المسلمة، وبتأثير إرادة أخلاقية سجلت طابعها على العبقرية الإسلامية كلها، تلك العبقرية التي لا تهتم كثيراً بأن تخلق في العالم أشكالاً وصوراً، وأن تجمّل (الحقيقة) باستعمال بعض المساحيق.

---

[6] نجيب الكيلاني: مدخل إلى الأدب الإسلامي، الدوحة: مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. كتاب ال/ة، جمادى الآخر 1407هـ، ص93، 94.

فهذا الغرام (بالحقيقة) في العالم الإسلامي قد يفسر طابع الفن الإسلامي، فهو بحكم (كطبيعته) في خط هذه (الحقيقة) المجردة، التي لا يساعد جوها على خلق ما يسمى (بالقصة) الخيالية مثلاً، ولئن كانت قصة: **حي بن يقظان** قد صدرت عن عبقرية **ابن طفيل** فلأن (الحقيقة) التي تعبر عنها ذات طابع أخلاقي، وليس هو مطلقاً موضوعها".[7]

فسلم الأولوية وتدرج المقاصد في المبدأ الإسلامي يقتضي تقديم الضروري على الحاجي أو التحسيني إذا تعارض مع أحدهما، وبالضرورة إلغاء المصلحة الموهومة والأخذ بالمصلحة المعتبرة وما يخدمها.

## 2- الجمال والإيمان:

الجمال في الإسلام ليس غاية تطلب لذاتها، إنما هو أحد الأهداف التي ترد بالتبعية للغاية الكبرى، وهي ربط الخلق بالخالق برابطة الإيمان والتوحيد، وما يستوجبه هذا أيضاً من تذكير بنعم الله على خلقه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (النحل:14-15). فهذه الآيات وأمثالها تقيم من المتعة الجمالية دليلاً وخادماً للإيمان بالله تعالى الذي نسق الخلق نسقاً جميلاً، وفطر النفوس على الانجذاب للجمال. الأمر الذي يهيئ للداعية -خصوصاً- فسحة تستروح فيها نفسُه نفحات الإيمان في ظلال الجمال، فإذا كان **أرسكن** يرى: "أن الشعور الجمالي غريزي في الإنسان، وأن الأساس الموضوعي للفن هو الجمال الإلهي المشاهد في الطبيعة، والفن الكامل إنما ينقل عن جمال الطبيعة الإلهي، ومن ثمَّ فهو يدفع الإنسان للتسامي أخلاقياً، ولهذا فللفن عنده أثره الفعال في التربية الأخلاقية"،[8] فإن علاقة الجمال بالإيمان لدى رجال الفكر والعلم والفن في الإسلام -كما برز واضحاً في الأطروحات التي قدمها المسهمون في المجلة- تتعدى التسامي الأخلاقي ليصبح الجمال أثراً من آثار نعم الله على خلقه. "لذلك لا عجب أن نرى كثيراً منهم يعقد فصولاً للجمال، يخصص بعضها للحديث عن الجمال الإلهي ضارباً الأمثلة من هذا العالم، فإذا تحدث عن جمال الطبيعة أو جمال الفن المبتكر، لم ينس في

---

[7] مالك بن نبي: فكرة الإفريقية الآسيوية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، تصوير 1406هـ عن طبعة 1981م، ص230.

[8] محمد علي أبوريان، مرجع سابق، ص63.

النهاية أن يعود إلى تذكيرنا بالجانب الإلهي".[9] والإمام **أبو حامد الغزالي** يدلل على صحة الكلام السابق بقوله: "واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال إن كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون أُدرك بحاسة البصر؛ وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنية، أُدرك بحاسة القلب. ولفظ الجمال قد يستعار أيضاً لها، فيقال: إن فلاناً حسن وجميل ولا تراد صورته، وإنما يعني به أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة، حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحساناً لها كما تحب الصورة الظاهرة، وقد تتأكد هذه المحبة فتسمى عشقاً. ومن العجب أن يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته أجميل هو أم قبيح وهو الآن ميت؟ ثم لا يعقل عشق من ترى الخيرات منه. بل على التحقيق لا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه وغَرْفة من بحر جوده، بل كل حسن وجمال في العالم أدرك بالعقول والأبصار والأسماع وسائر الحواس من مبتدأ العالم إلى منقرضه ومن ذروة الثريا إلى منتهى الثرى، فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من أنوار حضرته".[10]

فإذا كانت هذه الخيرات وهذا الحسن الباهر مما أدركته الحواس مما خلق الله تعالى ليست سوى ذرة من خزائن قدرته، فكيف لو مكنت هذه الحواس من الاطلاع على ما استتر من جمال الخيرات التي حوتها خزائن قدرته، هل يمكن للحواس أن ترى غير ما حسنه يستأهل أن يستحسن أو ينظر إليه نظرة جمال؟

فالجمال –إذاً– "سبب من أسباب الإيمان وعنصر من عناصره، والقيم الجمالية الفنية تحمل على جناحيها ما يعمق هذا الإيمان ويقويه ويجعله وسيلة للسعادة والخير في هذه الحياة".[11]

وهذا ما يفسر ارتباط جمالية كثير من الفنون الإسلامية بالمبدأ الاعتقادي والرفض القاطع لكل شكل أو ممارسة فنية تتعارض صراحة مع هذا المبدأ "الفنان المسلم بحكم إسلامه يخضع لشريعة الله وعلى دراية بأنه ليس هو الذي يبدع الجمال أو يخلقه، ولكن العمل الفني جميل بقدر طوايته للنظام الإلهي العام، ومن ثَمَّ فإنه يعكس بديع صنع الله، وهذا الوعي لا يقلل بأية حال من الأحوال من متعة الإبداع الفني كما تشهد بذلك

---

9 محمد كمال إبراهيم جعفر، مرجع سابق، ص114.

10 أبوحامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج2، بيروت: دار المعرفة، دون تاريخ ج2، ص280.

11 نجيب الكيلاني، مرجع سابق، ص91.

الأعمال الفنية، بل ويضفي على الفن الإسلامي طابع السكينة والموضوعية إذ من وجهة النظر الإسلامية يذكّر الفن الإسلامي الإنسان بالله سبحانه وتعالى، وخاصة عندما يكون ذلك الفن متسماً بميسم الموضوعية شأنه في ذلك شأن القوانين التي تحكم حركة الأجرام السماوية".[12]

وخلاصة القول: إن كل من المفكر والداعية المسلم أمام قاعدة مهمة، هي تقويم الفن وما فيه من جمال بمدى استجابته وطواعيته لحدود الله تعالى ونظامه في الكون.

**إسلامية الفنون المرئية**

عنيت بحوث مجلة **المسلم المعاصر** بالفنون المرئية على نحو يرتقي بها لتكون في مقدمة الفنون الإسلامية، فهي مجال واسع لإبراز العبقرية الإسلامية. فعلى الرغم من أن العرب لم يكونوا أهل صنعة في هذا المجال،[13] إلا أن الفتوحات الإسلامية لشعوب وأمم ذات تاريخ عريق واهتمام كبير بهذه الفنون سمح بإدخالها وعدّها عنصراً ومكوناً وافداً جديداً للممارسة الفنية الإسلامية. "فالواقع أننا لا نستطيع أن ننسب إلى العرب أنفسهم أي عنصر فني في العمارة والتحف في بداية العصر الإسلامي سواء أكان في الشكل، أم في الزخرفة، أم في الأساليب الصناعية، وإنما تنسب هذه العناصر إلى الشعوب الأخرى التي تألفت منها الإمبراطورية

---

12 إبراهيم تينوس بيركهارات: "دور الفنون الجميلة في التعليم الإسلامي"، في كتاب: الفلسفة والأدب والفنون الجميلة من وجهة النظر الإسلامية، أعده للنشر بالإنجليزية: سيد حسين نصر، ترجمة: عبد الحميد الخريبي، السعودية: دار عكاظ للنشر والتوزيع، 1404هـ/ 1984م، ص68.

13 باستثناء الحضارات التي نشأت وازدهرت في جنوب الجزيرة العربية كالحضارات المعينية والسبائية والحميرية، والحضارات التي ازدهرت في شمالي الجزيرة العربية كحضارات المناذرة في العراق، والغساسنة في الشام.

- انظر: محمد الشابي: أضواء على الآثار الإسلامية، تونس: الدار التونسية للنشر، ط1960، (طبع منه مائة نسخة خاصة)، ص11.
- وانظر شرح قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ (الشعراء: 128-131). يقول الإمام ابن باديس: "فإن هذه الآية تكشف لنا نواحي من تاريخ هذه الأمة العربية، ومبلغ مدنيتها وتعميرها، فهي تدل على أنهم كانوا بصراء يعلم تخطيط المدن والأبنية، وهو علم لا يستحكم إلا باستحكام الحضارة في الأمة.. إلخ".

  راجع عبد الحميد بن باديس: تفسير ابن باديس: جمع توفيق محمد شاهين ومحمد الصالح رمضان، دار الفكر، دون ذكر مكان الطبع، ط3، 1399هـ/ 1979م "فصل: العرب في القرآن"، ص669.

الإسلامية، تلك الشعوب التي كان لها قبل الإسلام أساليب فنية زاهرة".[14] ولقد تمتعت هذه الشعوب بتسامح ديني في ظل حضارة الإسلام مما فتح المجال لمواصلة إبداعاتهم بل واستخدموا في عمائر ومدن ومساجد المسلمين".[15]

ولما كان للعقيدة الإسلامية تأثير واسع وعميق فيهم فقد عملوا على تجنب كل إبداع فني يمسُّها، وأخذوا في ابتكار أساليب الفنون وتطويرها، وهي التي عرفت فيما بعد (بالفنون الإسلامية) والتي "انتقلت إلى مرحلة ثانية لم يعد لهذه الفنون أية علاقة بمصادرها التقليدية المحلية، وبرزت ملامح جديدة لهذه الفنون جعلتها مميزة موحدة، على الرغم من اختلاف التقاليد في مساحة متعاظمة من الأرض التي انتشر فيها الإسلام من الصين إلى الأطلسي، وحملت هذه الفنون سمة جديدة، وتكونت شخصية فن نستطيع التعرف على أسرار جماليته وفلسفته من خلال الفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية. وهذه المرحلة كانت أهم مراحل تطور هذه الفنون، بل إنها تشكل الولادة المتكاملة لفن انفصل عن جميع الرواسب لكي ينتمي لحضارة جديدة ويصبح أهم عناصر تكونها".[16]

لهذا فالمنهج السليم –كما تلاحظ بعض دراسات المجلة– في دراسة الفنون الإسلامية هو الابتعاد عن معيارية الفنون المرئية الغربية خلافاً لمنهج الغربيين في حكمهم على الفن الإسلامي، فقد بدا الدارسون الغربيون "حائرين في تقويمهم لهذا الفن... إذ فشلوا في تفهم روح هذا الفن وفي إدراك وتحليل إسلاميته، وقد قادهم هذا الفشل إلى أن ينظروا إلى الفن الإسلامي من خلال الروح الذي يصبغ فنهم –أي الفن الغربي–

---

14 محمد الشابي، المرجع نفسه، ص12.

15 تشير المراجع التاريخية إلى أن خلفاء الدولة الأموية جلبوا مواد البناء واستقدموا مهرة الصناع من شتى الولايات لإقامة المدن الجديدة وإنشاء القصور والمساجد، واستعانوا في بناء مسجد دمشق بعمال من السوريين والبيزنطيين لتجميله بالفسيفساء في حين أشرف على عمارته مهندس عبراني. ورحل كثيرون من الفنانين المصريين للعمل في تعمير بيت المقدس، ودمشق، ومكة. واتبع العباسيون هذا التقليد في استجلاب المواد والصناع من مختلف الأقاليم. ويذكر الطبري أنه عند تأسيس بغداد جمع العباسيون لها العمال من سوريا وإيران والموصل وواسط والبصرة.

- انظر: م. س. ديماند: الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة: دار المعارف، 1955، ص24.

16 عفيف بهنسي: "تراث الفن الإسلامي والمستقبل"، مجلة الإسلام اليوم، تصدرها منظمة (الأيسيسكو)، الرباط، العدد12، السنة 12، 1415هـ/ 1994م، ص88.

مُسَلّمين به كمعيار مطلق لكل الفنون".[17] لهذا فإن أي بحث إيجابي يجب أن يبدأ منذ البداية من نظرية الفن الإسلامي، والقيم الجمالية الإسلامية.

**مميزات الفنون المرئية الإسلامية**

أ- **التوحيد والفن:** الصلة بينهما صلة تأطير واستلهام، فالتوحيد في صورته النقية كان هو الإطار الذي منع الإنجازات الفنية من اختراق أحكام الإسلام ومصادمة قيم المجتمع، كما كان الملهم للفنان المسلم الذي تفتقت عبقريته عن فنون جديدة معبرة في أخص خصائصها وأبعادها عن روح عقيدة التوحيد.

فالعبارة الدالة على "لا إله إلا الله" "إنما" تعني وجود حقيقتين فقط لا ثالثة لهما، حقيقة منزهة عن عالم الخالق، وحقيقة طبيعية هي عالم المخلوق".[18] وما دام لا شيء مما يدرك -وعياً أو حساً- يرقى إلى مستوى تلك الذات "فقد أقصى الإسلام تماماً أي تعبير فني تشخيصي"[19] نأياً عن الوقوع فيما يمكن أن يوحي بمنافسة الله تعالى في الخلق، فالفنان المسلم "قد قنع في فن الزخرفة العربي، بأن لا يصطنع أيّ شيء غير العناصر الأساسية للفنون البصرية، وهي الخط والشكل واللون مجردة من أي معنى أدبي أو سيكولوجي أو أخلاقي، لقد اجتنب كل ما يوحي بالمنافسة مع الله".[20]

وظل فن الزخرفة العربي (Arabesque) يجرد كل جهد يمكن أن يوحي بالتشبيه أو المنافسة، ولتتأكد هذه الغاية فقد أضيف على الأشكال الزخرفية الخط العربي الذي كتبت آيات القرآن الكريم به.

ونتيجة العلاقة بين الفن والتوحيد أن "دين الإسلام وعقيدة التوحيد فيه هي التي أعطت الفنون الإسلامية كيانها"،[21] والدليل على صحة ذلك أنه لما فتحت على الفنانين المنتمين للعالم الإسلامي أبواب الفن الغربي الحديث وارتموا في أحضانه مقلدين انفصلوا كلية عن المنابع العقدية والفلسفية للفنون الإسلامية التاريخية الأصلية، وتوقفوا عن نتاجها ناظرين إليها بوصفها فنوناً عفا عليها الزمن. وإدراك هذه الحقيقة يلقي

---

17 إسماعيل الفاروقي: "التوحيد والفن"، مجلة المسلم المعاصر، العدد 23، ص1400هـ/ 1980م، ص160.

18 إسماعيل الفاروقي: "التوحيد والفن: 3"، مجلة المسلم المعاصر، العدد 25، 1401هـ/1981م، ص138.

19 المرجع نفسه، 140.

20 روم لاندو Rom Landau: الإسلام والغرب، ترجمة منير البعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، 1962، ص329.

21 لويز لمياء الفاروقي: "الغزو الثقافي في مجال الفنون"، مجلة المسلم المعاصر، العدد 45، السنة 12، 1406هـ/1985م، ص127.

على عاتق المفكرين والدعاة واجب إعادة الاعتبار ولفت أنظار الفنانين إلى هذا الميدان الفني الأصيل ليعيدوا له مكانته في الحياة.

ب- **وحدة الفنون الإسلامية**: طبعت الميزة السابقةُ الذكرِ الفنونَ الإسلامية بميزة الوحدة. فعلى الرغم من تنوع الأقاليم والخبرات الموروثة لدى الفنانين المسلمين، إلا أنها محكومة بوحدة انتمائها لرؤية عقيدة واحدة، "فالتنوع الفني لم يخلَّ بوحدة الفن الإسلامي، بل استمرت الفنون الإسلامية موحدة، ولا يوجد من يخطئ في تحديد هويتها على امتداد أرض الإسلام، أو على اختلاف أشكالها".[22]

ومما ساعد على تكوين ميزة الوحدة هذه التأثير العميق للقرآن الكريم في نفوس المسلمين بمختلف أجناسهم وأصولهم العرقية، مما نشأ عنه شعور موحد له ميزته التأثيرية والإيحائية الخاصة والمتميزة، فالفن "فن بمزية أسلوبه في التعبير، وبمضمونه الجمالي، وبطريقته في الإيحاء بالأفكار، لا بالخامات التي يستغلها والتي تعد في الغالب لوناً من المصادفة الجغرافية. وإن الفن الإسلامي إنما يشكل وحدة فنية بسبب ذلك الأساس الوطيد، وهو التعبير عن الإسلام من خلال الشعور العربيين وإن معطيات الشعور العربي هي التي طبعت النتاجات الفنية عن المسلمين جميعاً بطابعها".[23]

ويغلب الاعتقاد على كون السببين المذكورين: وحدة الرؤية العقدية، ووحدة الشعور، هما اللذان منعا ظهور مدارس فنية متضادة ومتصارعة في تاريخ الفن الإسلامي، على الرغم من التباين الشديد في مصادر مادة الصنعة البشرية وتقنياتها. لهذا ينبغي تأكيد ضرورة أن ينطبع أي جهد لإحياء هذا الفن الإسلامي بهاتين الميزتين.

جـ- **نفي غائية الزينة والإمتاع الجمالي**: إن التلازم بين الإفادة والمتعة الجمالية في الفنون الإسلامية تقضي -حتماً- برفض عَدِّ الفن ممارسة وجدت أساساً للتزيين، فهي "فكرة مرفوضة تماماً في الثقافة

---

22 عفيف بهنسي، المرجع نفسه، ص82-83.

23 إسماعيل الفاروقي، "التوحي والفن: 3".

قد يكون من الصعب في أغلب الأحيان أن نحدد بدقة الإقليم الذي يصح أن يرجع إليه —من بين الأقطار الإسلامية- الفضل في ابتكار نوع من أنواع الخزف أو شكل معين من اشكال الزخرفة، إذ أننا نلقى كثيراً هذه الأنواع والاشكال المختلفة بعينها في أقطار عديدة من العالم الإسلامي. راجع م. س. ديماند: مرجع سابق، ص11.

الإسلامية، فالفنون الإسلامية تستمد وجودها دائماً من قيامها بوظيفة مفيدة في حياة الشعوب الإسلامية إلى جانب تحقيقها وظيفة جمالية في الوقت ذاته".[24]

فما جرى عليه الأمر في ديننا أن ما بني على باطل فهو باطل؛ وأن تصبح المتعة الفنية والجمالية هي الغاية الكبرى والوحيدة التي تطلب من الأعمال الفنية، فهي –إذن– عين اللهو الباطل الذي بنيت عليه تلك الفنون.

فتذهب إحدى الدراسات المنشورة في المجلة إلى القول: "إن من تعاليم الإسلام أن أي أمر ندركه أو نمارسه يكتسب أهميته إذا ما جرَّ نفعاً أو بني عليه عمل، والفن بعَدَّه مظهراً أساسياً من مظاهر الثقافة، عليه أن يدلل على هذه العلاقة النافعة الأنشطة الأخرى".[25] يلاحظ أن هذه النظرة الإسلامية تقف على الطرف النقيض تماماً من فكرة الجمالية عن الفن التي تمثل محاولة جذرية لفصل الفن عن الحياة أي نظرية الفن للفن فمضمونها –كما عبر عنه أحد النقاد الغربيين– أنه "من غير المشروع مطالبة العمل الفني بنقل التعليم الأخلاقي أو الإيحاء به، سواء بالوصوية أو بالمثال، فالعمل الفني يجب ألاّ يثمن إلا بما يقدمه من متعة جمالية مباشرة فحسب".[26]

إن مجرد التفكير في تبني هذا الموقف لدى الفرد المسلم –فناناً مبدعاً أو متذوقاً للفن– يوقعه في تناقض صارخ مع دينه وعقيدته، فهدف الفن عند الفرد المسلم –حسب الدراسة نفسها دائماً– هو "ابتغاء لوجه الله، إنه الفن الذي يعين خلق الله على أن يحققوا ما أرداه الله لهم بنجاح أكثر، إنه الفن الذي مهما تكن صورته مرئياً أو موسيقياً، فإن له أثراً رئيساً في تذكير الفرد المسلم بصفة دائمة بعقيدته ومسؤولياته، وهو دائماً معه".[27]

---

[24] لمياء الفاروقي: المرجع نفسه، ص121.

[25] المرجع نفسه، ص121.

[26] ر. ف. جونسون R. V. Johnson: الجمالية Aestheticism، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي، ج1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1983، ص287.

[27] لمياء الفاروقي: المرجع نفسه، ص123.

د – **تجاوز الطبقية:** من أبرز السمات التي ميزت الفن الإسلامي المرئي أنه لم يوضع لطبقة خاصة من طبقات المجتمع، فلقد "كانت الأباريق والجرار، والنقوش الخشبية والآجر، والصواني النحاسية، والحقائب الجلدية كلها لا تصطنع سداً لحاجات الأثرياء والأقوياء فحسب، بل سداً لحاجات أبناء الشعب أيضاً".[28] ففن الزخرفة العربي "لم يبق لغة الفنانين الخصوصية، كشأنه في الفن التجريدي الحديث بخاصة، أو ملكاً لذوي الخبرة أو للأثرياء، لقد شمل الحياة اليومية لكل طبقة من الطبقات الاجتماعية".[29]

هذه الخاصية تنبع من تشرب الفنّان المسلم لروح العدل والمساواة، أخرجها في أشكاله وإبداعاته الفنية، فأتاح لمختلف الطبقات حظوظهم من المتعة الفنية الجمالية والانتفاع بها في الحياة اليومية.

إن توفّر الفنان المسلم المعاصر لهذه الميزة –وهو يعمل على إعادة تشكيل منطلقات رؤيته الفنية وممارساتها– تدعوه لئلا يستسيغ فكرة تصنيف فنون الشعوب المسلمة إلى ما يسمونه "بالفنون الجميلة" مقابل "الفنون الحرفية" وعدّهما أمرين مختلفين،[30] ذلك أنه من "الصعب –إن لم يكن من المستحيل– أن نقيم حدوداً فاصلة بين نماذج الفنون حيث تشير الفنون الإسلامية إلى وحدة واضحة الأسلوب والمحتوى والشكل، فلا نستطيع أن نفرق بين المبادئ التي تقوم عليها الزينة في واجهة مسجد ما، وفي النسخة الخطية من القرآن الكريم، وبين ما نجده في تصميم بوابة خارجية أو زخرفة (الأرابيسك) على غطاء مائدة أو حصيرة

---

28 روم لاندو: مرجع سابق، ص328 و317.

29 روم لاندو: المرجع نفسه، ص328 و317.

30 إنالفن الإسلامي لم يعرف مطلقاً تلك التفرقة السائدة في الغرب بين ما يسمى فناً خالصاً (أو الفنون الجميلة أو الفن للفن) من ناحية، والفن التطبيقي (أو النفعي) من ناحية أخرى. والنوع الأول يهدف إلى إثارة الإشباع الفني، أما النوع الثاني فيتجاوب مع غرض نفعي معين. إن الفنون في الإسلام شأن كل الفنون التقليدية، فنون (وظيفية) أي مفيدة، بصرف النظر عن كون تلك الفائدة ذات طابع روحي مباشر (مثلما يحدث عندما يزخرف المحراب في المسجد ببعض آيات الكتاب الكريم والنقوش الخاصة)، أو أنها تضفي على الأشياء التي تستخدمها في حياتنا اليومية طابعاً مميزاً.

- انظر: جين لويس متسون (المسمى بعد إسلامه: علي عبد الخالق): "التربية من خلال الفنون التقليدية والحرف اليدوية والتراث الثقافي الإسلامي"، في كتاب: الفلسفة والأدب والفنون الجميلة من وجهة النظر الإسلامية، تحرير سيد حسين نصر وترجمة عبد الحميد الخريبي، الرياض: دار عكاظ للنشر والتوزيع، 1414هـ/1984م، ص81.

للاستعمال المنزلي".[31] إن الدعاة والمفكرين المسلمين ليجدون في هذه الميزات ما يؤطر الفكر والدعوة في التبليغ وإعادة صياغة العقل المسلم والمعرفة الإسلامية صياغة جديدة.

**خطة مقترحة لإسلامية الفنون المرئية**

الملاحظ على الدراسات التي تضمنتها مجلة **المسلم المعاصر** في مجال إسلامية الفنون اهتمامها الخاص بالفنون المرئية، والسبب –فيما يبدو– أنها الفنون الأصيلة المعبرة عن روح الابتكار والعبقرية في الثقافة الإسلامية، لذا فالعناية بدراستها وتتبع ملامحها وميزاتها، ومحاولة إعادة الاعتبار لها، ولفت أنظار الفنانين المسلمين لها، يعد جهداً معتبراً في سياق تحقيق إسلامية المعرفة بصورة عامة. ومن هذا المنظور اقترحت إحدى الدراسات المنشورة بالمجلة خطةٌ عمليةً لتحقيق الأسلمة في الممارسة الفنية الإسلامية المعاصرة فيما يتعلق بالفنون المرئية، وقد تضمنت هذه الخطة الآتي:

أ– **إعادة تعليم المعلمين** (خمس سنوات)، وإعدادهم إعداداً لائقاً لاضطلاعهم بمسؤولية بلورة مبادئ الفنون الإسلامية، وإرشاد الفنانين والمصممين لإيجاد أشكال للتعبير عن هذه الأفكار وتلبية احتياجات الإنسان المعاصر. كما تقضي بإقامة اتصالات شخصية بين العلماء والمهنيين المسلمين.[32] ويلاحظ أن هذا المقترح يسعى لترقية الحرف إلى مصاف الفنون الممتعة النافعة فتعود إلى سالف عهدها الزاهر.

ب– **مراجعة مناهج الفن والتصميم الحالية:** وتتضمن مرحلتين:

الأولى: من سنة إلى سنتين، وفيها تحدث التغيرات الفورية، دون تدمير أو تهديد لسلامة المنهج، فمثلاً يمكن تكييف الدراسات في تاريخ الفن والتصميم وتقويمها لزيادة الاهتمام بالفنون الإسلامية، ويمكن تقديم موضوعات جديدة في حدود المعقول.[33]

---

31 لمياء الفاروقي، مرجع سابق، ص121.

32 أتيمة سيد محمد: "إسلامية الفنون المرئية" المسلم المعاصر، العدد 54، السنة 14، 1409هـ/1989م، ص108.

33 المرجع نفسه، ص109.

**الثانية:** من سنتين إلى خمس سنوات، وتشمل تفكيراً جذرياً في مدى عقلانية المناهج وأهدافها، وعندئذٍ فإن المناهج نفسها تبنى ن جديد على أساس هذا التفكير. إن الأشخاص العاملين في هذه المرحلة الثانية ينبغي أن يكونوا على وجه الخصوص من الخبراء في جميع الميادين المتصلة بالإسلام والفن، ومن أصحاب النظريات (في الإسلام والفن) والمعلمين والمهنيين المتمرسين، ممن لديهم التزام وطيد بقضية تحقيق إسلامية الفنون بصورة شاملة.[34]

وفي هذا الصدد تقترح الدراسة مجموعة من الخطوات العملية للمساعدة في إنجاز وتحقيق هذه الأهداف، والخطوات هي:

1- جمع آيات القرآن الكريم والأحاديث المتصلة اتصالاً مباشراً أو غير مباشر بالفن، فهذه مواد مرجعية لبناء فن إسلامي وتصميم إسلامي حقيقيي.

2- جمع التفسيرات المهمة والتعليقات وشروح آيات القرآن الكريم وكذلك الأحاديث ذات الصلة بالموضوع.

3- إعادة تقويم تلك التفسيرات.[35]

ج - **أنشطة دورية مدعمة:** مثل ضمان استمرارية الاتصال بين جميع الأطراف، وتشجيع إنتاج الأعمال الفنية الهادفة إسلامياً والمتناسبة مع العصر، حفاظاً على الحرف التقليدية ذات الصلة بالفنون المرئية فهي الصلة الحيوية بالماضي، وهي لذلك تمثل مصدراً رئيساً لإلهام الفنانين والمصممين المعاصرين.[36]

وكما هو واضح فإن هذه الخطة تتطلب إنشاء مؤسسات خاصة تشرف على التخطيط وتعمل مع الأفراد والهيئات العاملة في الحقل نفسه من أجل تجسيدها واقعاً.

---

34 المرجع نفسه، ص109.

35 المرجع نفسه، ص110.

36 المرجع نفسه، ص110، 111.

## جماليات السماع

لا ينتظر قارئ بحوث مجلة **المسلم المعاصر** في "الموسيقى والموسيقيين" –وهي المقصودة هنا بجماليات السماع– أن تختصر له موضوع البحث في جمع الأدلة المعتمدة عند من ذهب إلى تحريم الموسيقى أو من قال بإباحتها فحسب، وإلا كان الجهد قليل الجدوى، لأن البحث –بهذه الحدود– قد تناولته كتب الفقه وشرح الأحاديث والفتاوى. إنما هي دراسة تحليلية واقعية "لوضع الموسيقى في العالم المسلم" من جهة و"الموسيقى والموسيقيين في ميزان الشريعة" من جهة أخرى، فسلكت مسلكاً اجتهادياً جمع بني التخصص المعرفي والتاريخي للموسيقى، والإحاطة الفقهية بآراء الفقهاء قديماً وحديثاً، فضلاً عن الجانب المعرفي والتاريخي للموسيقى، فضلاً عن استشراف الآثار المترتبة على الترتيب الهرمي لأنماط الموسيقى التي يمكن أن تؤثر في الفن والمجتمع.

### أ– وضع الموسيقي في العالم المسلم

إن معظم ضروب الفنون الموسيقية التي عرفها العالم الإسلامي تدخل ضمن أنواع ثلاثة هي:

1– الموسيقى الدينية.

2– الموسيقى الفنية التقليدية.

3– الموسيقى الشعبية.

والسمة البارزة فيها انسجامها فيما بينها انسجاماً شاملاً. والمحور الذي تدور حوله هذه لأنواع ويطبعها بطابعها الملحوظ هو "الموسيقى الدينية" التي تتضمن: قراءة القرآن والأذان والذكر والتكبيرات والحمد والمديح للنبي صلى الله عليه وسلم، وغيرها.[37]

---

[37] لمياء الفاروقي: "وضع الموسيقى في العالم المسلم"، المسلم المعاصر، العدد 29–1402هـ/1982م، ص109.

وهذه التضمنات تحتفظ بأسلوب تلاوة القرآن الذي يمثل أولوية في التوجيهات الفنية للمجتمعات الإسلامية. فإن أي عضو في المجتمع المسلم يمكنه تلاوة القرآن على العامة، وعلى كل مسلم ملتزم تعلم تلاوة القرآن، ليس معرفة وحفظ كلماته فحسب، بل مصاحبتها بالتنغيم الصوتي،[38] أي التجويد.

ورفعاً لكل لبس قد يقع في التفريق بين التلحين الصناعي والتغني به، يجدر التنبيه إلى أن "الموسيقى الدينية تعد بصفة أساسية عملاً منفرداً، غير مصحوب، بعزف على الآلات، وتعد كل من تلاوة القرآن والأذان دائماً أداءً صوتياً منفرداً غير مصحوب بالعزف علىالآلات".[39]

ولعل سر الاستجابة لموسيقى مختلفة (إقليمياً وعنصرياً وشكلاً وأداءً) في العالم الإسلامي "هو أسلوب تلاوة القرآن، فهو المعيار الموسيقي للشعوب العربية، وهو الطابع البنياني لكل من التعبيرات الموسيقية المعاصرة والتاريخية في المنطقة".[40]

---

38 المرجع نفسه، ص112.

39 المرجع نفسه، ص113.

ويحسن بنا ونحن بصدد الحديث عن قراءة القرآن بالألحان وتحسين الصوت تأمل النصين الآتيين:

الأول: لابن حجر العسقلاني، وهو يشرح الحديث الوارد في صحيح البخاري (باب من لم يتغنى بالقرآن) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن"، قال ابن حجر: "ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم، لأن للتطريب تأثيراً في رقة القلب وإجراء الدمع. وكان بين السلف اختلاف في جواز القراءة بالألحان. أمّا تحسينُ الصوت وتقديمُ حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك، والذي يتحصل من الأدلة أن جواز القراءة بالألحان. أمّا تحسينُ الصوت وتقديمُ حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك، والذي يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب، فإن لم يكن حسناً فليحسنه ما استاع... ومن جملة تحسينه أن يراعي فيه قوانين النغم، فإن الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك، وإن خرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم في تحسينُ الصوت بقبح الأداء. ولعل هذا مستندُ من كره القراءة بالأنغام لأن الغالب على راعي الأنغام أن لا يراعي الأداء، فإن وُجِد من يراعيهما معاً فلا شك في أنه أرجحُ من غيره لأنه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت ويتجنب الممنوع من حرمة الأداء".

انظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة، ج9، ص82.

الثاني: لابن خلدون: قال: "... وليس المراد تلحين الموسيقى الصناعي، فإنه لا ينبغي أن يُختلف في حظره، إذ صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه، لأن القراءة والأداء تحتاج إلى مقدار من الصوت لتعيين أداء الحروف من حيث اتباع الحركات في مواضعها، ومقدار المدّ عند من يطلقه أو يقصره، وأمثال ذلك. والتلحين أيضاً يتعين له مقدار من الصوت لا يتم إلا به من أجل التناسب الذي قلناه في حقيقة التلحين، فاعتبار أحدهما قد يخل بالآخر إضا تعارضاً. وتقديم التلاوة متعيّن فراراً من تغيير الرواية المنقولة في القرآن، فلا يمكن اجتماع التلحين والأداء المعتبر في القرآن بوجه، وإنما المراد من اختلافهم [أي الفقهاء] التلحين البسيط الذي يهتدي إليه صاحب المضمار بطبعه".

انظر ابن خلدون: المقدمة، بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ، ص763-764.

ولعل التأمل الواعي لهذا الطابع يوحي للمختصين بضرورة التنبه لتعديل اتجاهات الموسيقى في العالم المسلم نحو التمسك باستمرارية الانطباع البنياني المذكور، فضلاً عن التزام مضامينها بقيم هذه المجتمعات النابعة من دينها.

### ب – الموسيقى والموسيقيون في ميزان الشريعة

يبدو أن الموقف الإسلامي تاريخياً من الموسيقى والموسيقيين، قد استوعب آراء متباينة ومتعارضة وزعت على أغلب مراحل هذا التاريخ، وبقي الأمر هكذا إلى أن أخذ في العصر الحديث يتجه عند فئة من العلماء والباحثين إلى إعادة قراءة آراء الفقهاء والعلماء المتقدمين المرتبطة بواقع الممارسة الغنائية والموسيقية آنئذٍ، ثم عرضها على النصوص، بحيث يضع لكل من عناصر الأداء الموسيقي ومقاماته حكمها الشرعي المناسب. فهذا هو –على أقل تقدير– المسلك الذي سلكته بحوث مجلة **المسلم المعاصر**.

ولا شك أن ما سبق التعرض له في وضع الموسيقى في العالم المسلم قد أثار إشكال تحديد المقصود من الموسيقى: فهل هي الكلمات المنغمة المصحوبة بآلات العزف؟ أم قد يكون هناك التنغيم والأداء الصوتي الحسن على نحو يعطي للكلمات والأحرف حقها، مع إمتاع السامع والتأثير فيه بدون الآلات؟

تجيب الدكتورة **لويز لمياء الفاروقي**، وهي تقدم لمعالجة الوضع الشرعي للموسيقى والموسيقيين، بأن مصطلح الموسيقى يعني عند علماء الموسيقى: "ذلك الفن أو العلم الذي يجمع الأصوات البشرية أو الأصوات الآلية –أو كليهما– وما يصدر عنهما من نغم لكي تكون تشكيلة متنوعة من التعبيرات الجمالية أو المشبعة للعاطفة من نظام عقائدي كامن في أساس ثقافة معينة". وتمتد مظلة هذا التعريف عادة لتشمل كل أنواع هذه التعبيرات الجمالية السماعية بغض النظر عن وظيفتها أو سياق أدائها".[41] وعلى الرغم من هذا فإن إشكالية الحصول على مصطلح يحوز القبول ثقافياً ويشمل كل ضروب الآراء الواردة عن الموسيقى في الثقافة الإسلامية تظل قائمة بقوة. لذا فإن الباحثة رأت أن "الثقافة الإسلامية في حقيقة الأمر قد أمدتنا

---

40 لمياء الفاروقي، المرجع نفسه، ص121–122.

41 د. لمياء الفاروقي: "الموسيقى والمسيقيون في ميزان الشريعة"، المسلم المعاصر، العدد 43، السنة الحادية عشر، 1405هـ/1985، ص114.

بتسلسل هرمي لدرجات التعبير في فن الصوت أو ما يمكن أن يطلق عليه (هندسة الصوت)... ويعطي هذا التسلسل القدرة على الفصل بين الأنماط التي تتمتع بالقبول والتقدير عند فئة، والأنماط والمناسبات غير المستحبة عند فئةٍ أخرى بعدِّها محل جدل أو استهجان".[42] وهذا التخريج -أي التسلسل الهرمي وهندسة الصوت- مناسب للتخلص -بالنسبة لبعض أنواع لأداء المنغم بالصوت الحسن- من ربطها بلفظ موسيقى وما يحمله من ظلال يرفض الضمير المسلم إضفاءها على تلك الأنواع مثل (تلاوة القرآن). فالمسلمون "لا ينظرون إلى الكثير من الأنماط المستحسنة لديهم بعَدِّها موسيقى خشية اختلاطها أو ارتباطها بالأنماط الممنوعة في فن التنغيم الصوتي".[43]

وفيما يأتي إثبات للشكل الذي يحتوي التنظيم الهرمي لأنماط هندسة الصوت الذي وضعته الكاتبة، وهو يحدد مكانة الموسيقى في العالم الإسلامي من جهة ما يُعَدُّ منها كذلك وما يحترز عن إدراجها ضمنها، ومن جهة ما يتعلق بها من أحكام شرعية.

التنظيم الهرمي لأنماط هندسة الصوت**

---

42 المرجع نفسه، ص115.

43 المرجع نفسه، ص116.

وفي هذا السياق نفسه يقول الإمم الغزالي: "... وواجب أن يصان القرآن عن مثل هذه القرائن [أي الألحان الموزونة المعضدة بإيقاعات وأصوات موزونة] لأن صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب، والقرآن جد عند كافة الخلق، فلا يجوز أن يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة، وصورته صورة اللهو عند الخاصة".

انظر: أبوحامد الغزالي: إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة (بدون تاريخ)، ج2، ص300.

* هذا الشكل من تصميم د. لمياء الفاروقي، نقلاً عن: مجلة المسلم المعاصر، العدد 43، ص125.

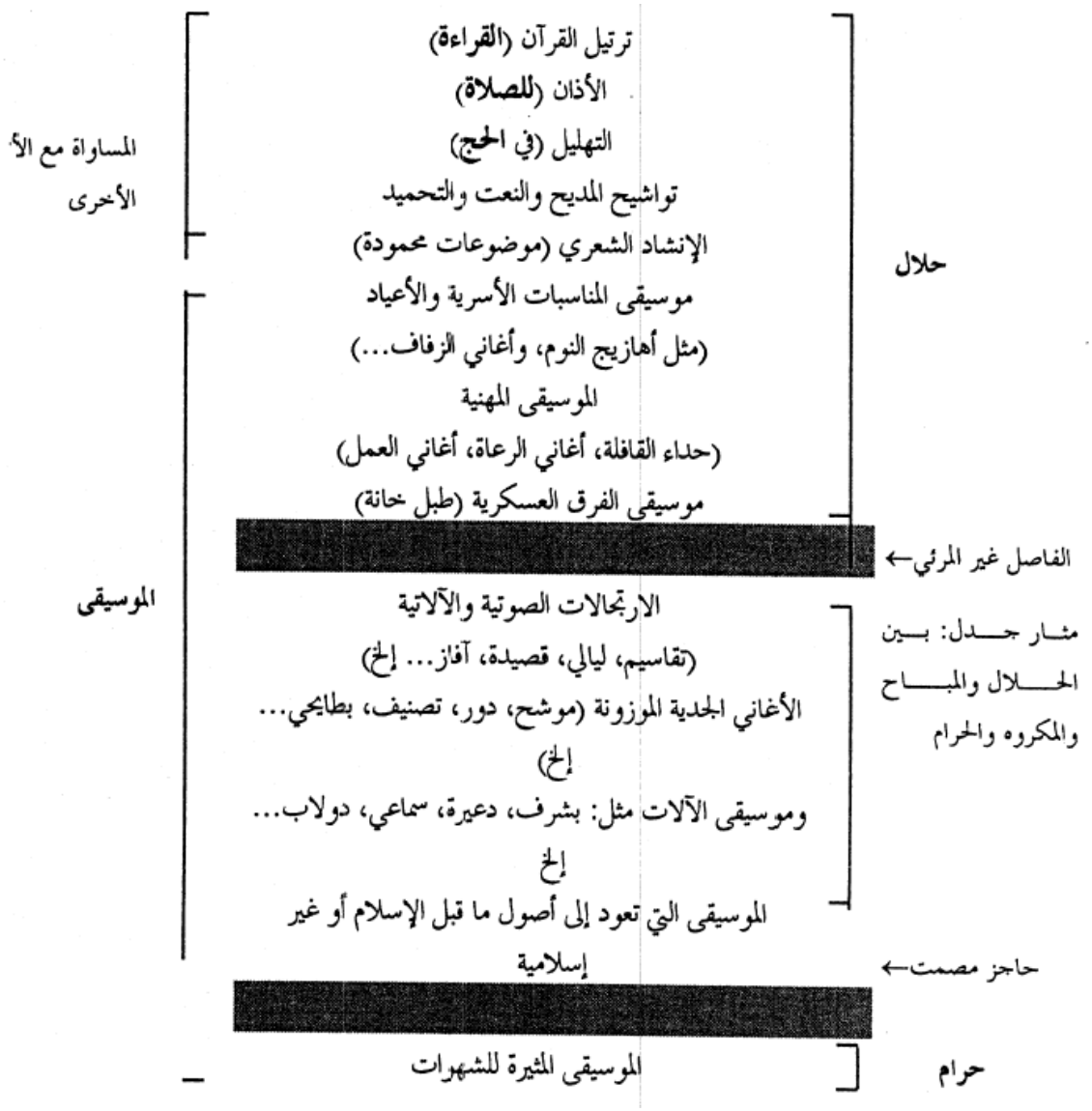


يلاحظ من مضمون هذا الشكل الملخص لما قامت به الباحثة من تحليل لمسألة شرعية الموسيقى انتهاجها لخط جديد -سبقت مجلة **المسلم المعاصر** في تبنيه- في ممارسة الاجتهاد المعاصر، واستشراف ممارسة علمية لأسلمة المعرفة، تقوم على جمع المعطيات الواقعية للمسألة -موضع الدرس- لتحليلها ومعالجتها في ضوء نصوص الشرع واجتهادات الفقهاء.

ولبيان قيمة هذا المنهج وميزته في التقريب من جوهر الرؤية المرجوة لإسلامية المعرفة، يحسن مقارنته بنموذج للمنهج الذي اتبع في الكتب التي تستعرض وتناقش النصوص الشرعية والآراء الفقهية، أي المنهج الغالب تداوله في الساحة الفكرية الإسلامية.

والنموذج المختار للمقارنة هنا كتاب في الموضوع نفسه وهو كتاب **الإسلام والفنون الجميلة**[44] للدكتور **محمد عمارة**. فقد سلك الدكتور عمارة في كتابه هذا، وفي فصل _التربية الجمالية) من كتابه **معالم المنهج الإسلامي**[45] مسلك جمع النصوص الشرعية والآراء والاجتهادات الفقهية والتفسيرات والتأويلات المختلفة المتعلقة بالفنون الجميلة وهي: (جماليات السماع وأدوات الموسيقى –جماليات الصور) وقبل هذا مقدمة عن (المسلم والجمال).

وفي الختام ضمن الكتابَ ملحقاً لنصوص في الغناء والسماع **لابن حزم وأبي حامد الغزالي وابن تيمية**. وهذا المنهج يلتقي –تقريباً في أغلبه– مع طريقة المتقدمين في عرض الأدلة الشرعية وفحصها ونقدها للخلوص إلى الحكم الشرعي الذي يطمئن إليه الباحث والفقيه، وتهديه إليه الأدلة الشرعية.

إلاّ أن أسلوب البحث العلمي الذي تأمل حركة إسلامية المعرفة انتهاجه ما أمكن ذلك حاولت المجلة تجسيده في هذا الخصوص يضيف للمنهج المذكور بُعد الدراسة المتخصصة المتقصية للظاهرة في مختلف مواطن بروزها وتجلياتها في النواحي المشكلة للواقع. ولماذا نذهب بعيداً وفي تراثنا تجسيد حي لبعض ملامح هذا المنهج، وفي مسألة الموسيقى والسماع ونعني هنا "كتاب آداب السماع والوجد" **لأبي حامد الغزالي** ضمن كتابه **إحياء علوم الدين**. وقد اتبع في معالجة المسألة المذكورة الخطوات الآتية: الباب الأول: في ذكر اختلاف العلماء في إباحة السماع وكشف الحق فيه"، وقد استعرض فيه بيان الدليل على إباحة السماع وبيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها. فهذا الجزء من البحث –كما هو ملاحظ– تجسيد للمنهج التقليدي المتبع في الدراسات الفقهية الشرعية، ويأتي بعد ذلك الباب الثاني: وفيه دراسة آثار السماع وآدابه: وهنا تبدأ الدراسة الموضوعية الواقعية للمسألة، إذ قسم السماع إلى مقامات هي: المقام الأول: الفهم وأحوال المستمع والأحكام المناسبة لكل حالة؛ المقام الثاني: مقام الوجد وما فيه من كلام. أما المقام الثالث فيتناول آداب السماع ظاهراً وباطناً، مثل: مراعاة الزمان والمكان والإخوان وغيرها؛[46] ولا بد أن نلاحظ هنا

---

44 د. محمد عمارة: الإسلام والفنون الجميلة، القاهرة: دار الشروق، 1411هـ/1991م.

45 د. محمد عمارة: معالم المنهج الإسلامي، القاهرة: اللجنة العليا للدعوة الإسلامية (الأزهر الشريف) والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1991، ص197–550.

46 أبوحامد الغزالي: إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة (بدون تاريخ)، ج2، ص268–307.

أنه لا ينقص من قيمة هذا الاستشهاد اتصالُهُ بسماع الصوفية. وتكتمل ملامحُ الخط الذي انتهجته **المسلم المعاصر** بمعالجة وضع الموسيقيين في العالم المسلم، فهم أيضاً "يخضعون لترتيب تسلسلي يمتد بين المقبول المباح والمنكر المرفوض".[47] وتقوم المواقف تجاههم على اعتبارات هي:

1- اختلاف المواقف طبقاً لمحتوى الأداء، فلن يتعرض موسيقي لأي حرج إذا ما استقى محتوى أدائه من تلك الأنماط التي تتمتع بالقبول العام داخل المجتمع.[48]

2- السياق أو المقام الذي يتم فيه الأداء، وهو الذي حدده الإمام الغزالي في (الزمان والمكان والإخوان)، ومدى ارتباط كل من هذه العناصر بتحديد شرعية الموسيقى والموسيقيين.[49]

ويشكل المقام وخصائص العمل الفني ذاته خلفية الأحكام المتنوعة للموسيقى، فلا يمكن "تقويم أي عمل موسيقي إلاّ بوصفه كلاًّ مركباً من خصائص النتاج الفني كافة، وكل المظاهر المتعلقة بأدائه، ومن خلال هذا الاعتبار بكلية العمل الموسيقي يسهل علينا فهم الأسباب الكامنة وراء التنوع الكبير في آرائه صلى الله عليه وسلم [المقصود هنا مختلف الأحاديث النبوية المنزهة عن الرأي لمتأثر بالهوى وهو التعبير الأنسب] تجاه حوادث محددة من أنماط هندسة الصوت، وأي تأويل آخر لن يكون إسلامياً في واقع الأمر".[50] وعن الوضع الفقهي والقانوني للمشتغلين بالموسيقى، هناك تعاليم يمكن أن تضع الشخص الذي يمارس الموسيقى في دائرة التحديد، وتقع هذه الإجراءات التحديدية في أربع فئات وهي:

1- قبول شهادته أو رفضها.

2- ضمان أجره على ما يؤديه.

3- القيان أو الإماء المغنيات.

---

47 د. لمياء الفاروقي: المرجع نفسه، ص122.

48 المرجع نفسه، ص123.

49 المرجع نفسه، ص123-123.

50 المرجع نفسه، ص127.

4- المعازف الموسيقية. ولكل منها حكمه.[51]

وترى الباحثة في رأي الشيخ **محمود شلتوت** مؤشراً للاتجاه السائد نحو الموسيقى في الثقافة الإسلامية بغض النظر عن الآراء التي تقع على طرفي محور القبول والرفض،[52] وهو الرأي والتحليل الذي يلتقي فيه معه كثير من الباحثين وعلماء الإسلام المعاصرين.[53] وقد لخص موقفهم الدكتور **محمد عمارة** في قوله: "فالغناء لا يعدو أن يكون بعضاً من ألوان الجمال الذي خلقه الله تعالى، ومعيار الحل والحرمة فيه هو (وظيفته) التي يوظف فيها، و(المقصد) الذي يقصده الناس من ورائه، فإن أسهم في ترقية السلوك الإنساني، والارتقاء بعواطف الناس، وأعان على تذوق نعم الله في كونه والكشف عن آيات الجمال في إبداعه كان خيراً، وإلا فهو منكر بلا خلاف".[54]

ويضيف الكاتب نفسه في موضع آخر: "موقف الإسلام من جماليات السماع [...] هو إباحة الغناء في ذاته، لا يكره ولا يحرم إلاّ بعارض يعرض عليه يخرجه ن المقاصد الطيبة التي يستهدفها منه الأسوياء من الناس، إنه كلام ولحن وأداء، الحسن منه حسن والقبيح منه قبيح".[55]

---

51 المرجع نفسه، ص127-132.

52 المرجع نفسه، ص131. ونحن نضيف هنا أن فتوى الشيخ محمود شلتون –رحمه الله تعالى- تتوفر على قيمة تحليلية عالية بين يدي الفتوى، يتعذر نقلها كلها هنا، لكن لا بأس بإيراد نتيجة لافتوى التي خلص إليها وهي قوله: "... وإذن فسماع الآلات، ذات النغمات، والأصوات الجميلة، لا يمكن أن يحرم باعتباره صوت آلة، أو صوت إنسان، أو صوت حيوان، وإنما يحرم إذا استعين به على محرم، أو اتخذ وسيلة إلى محرم، أو ألهى عن واجب". انظر: الشيخ محمود شلتوت: الفتاوى، القاهرة: دار الشروق، 1407هـ/1987م، ص414.

53 انظر في ذلك – يوسف القرضاوي: الحلال والحرام في الإسلام، بيروت: دمشق، المكتب الإسالمي، 1400هـ/1980م، ص291-295.

- انظر في ذلك – يوسف القرضاوي: الحلال والحرام في الإسلام، بيروت: دمشق، المكتب الإسلامي، 1400هـ/1980م، ص291-295.
- أحمد الشرباصي: يسألونك في الدين والحياة، بيروت: دار الجيل، 1406هـ/1986م، ج1، ص648.
- محمد الغزالي: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، القاهرة: دار الشروق، 1409هـ/1989م، ص63.

54 محمد عمارة: الإسلام والفنون الجميلة، مرجع سابق، ص55.

55 المرجع نفسه، ص106.

وإن أهم ما يجب أن يراعى عند الترتيب الهرمي للأنماط الموسيقية التي يمكن أن تؤثر في الفن الإسلامي والمجتمع الإسلامي، هو ضمان أن هذا "الجانب من جوانب الثقافة قد شملته أسلمة الثقافة، ومما عزز وحدة الأسلوب داخل الثقافة، تلك الوحدة التي تُعَدُّ السمة المميزة لأي حضارة تستحق هذه التسمية"،[56] الوحدة النابعة –طبعاً– من خصائص النمط الإسلامي الشامل للحياة.

وفي خاتمة هذا البحث يمكن استخلاص الآتي:

1– القرآن الكريم هو النموذج الأعلى للجمال في بيانه وأدائه، تلاوةً وتوجيهاً للنفس المؤمنة لآيات ومظاهر الجمال، ومداعبة الحس الجمالي عند الإنسان المسلم، دون إغراق في خيال مجنح، أو إسفاف وسقوط في مهاوي واقع هابط. كذلك ينبغي أن يعدَّ أن الجميل كل ما هو حق.

2– تمثل الفنون المرئية العبقرية الفنية الإسلامية تاريخياً، وإدراك هذه الحقيقة من قبل الفنانين المسلمين المعاصرين يفتح أمام قرائحهم وعبقرياتهم باباً واسعاً لتجسيد البراعة والإبداع والتواصل الفني الحضاري، والتميز المذهبي والمدرسي.

3– القطع في مدى شرعية (السماع) الموسيقي، لا يتأتَّى إلاّ ببحث جامع للفعل –أي الأداء الموسيقي– وما يحيط به من ملابسات وظروف أو مقامات، وهو ما جسدته بحوث المجلة. كما أن الحقيقة والواقعية تفرضان الاستجابة للنصوص والأدلة والآراء التي تذهب إلى عدم التحريم في حد ذاته، بل تؤكد على العكس أن الحكم يتعلق بالكيفية، ومقام الأداء والغاية منه.

---

56 لمياء الفاروقي: المرجع نفسه، ص133.

**جدول رقم 1: مقالات المجلة في أسلمة الفنون ونسبها**

| الرقم | عنوان المقال | الكاتب | العدد | سنة النشر | عدد الصفحات | النسبة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| .1 | آفاق الانبثاق الإسلامي لفلسفة الجمال والفن | د. محمد كمال جعفر | 11 | 1397هـ/ 1977م | 219/21 | ٪14.15 |
| .2 | التوحيد والفن | د. إسماعيل الفاروقي | 23 | 1400هـ/ 1980م | 189/21 | ٪11.11 |
| .3 | التوحيد والفن | د. إسماعيل الفاروقي | 24 | 1401هـ/ 1980م | 196/13 | ٪6.63 |
| .4 | التوحيد والفن: نظرية الفن الإسلامي | د. إسماعيل الفاروقي | 25 | 1401هـ/ 1981م | 184/26 | ٪14.13 |
| .5 | وضع الموسيقى في العالم المسلم | د. لويز لمياء الفاروقي | 29 | 1402هـ/ 1982م | 165/24 | ٪14.54 |
| .6 | الموسيقى والموسيقيون في ميزان الشريعة | د. لويز لمياء الفاروقي | 43 | 1405هـ/ 1985م | 184/29 | ٪15.76 |
| .7 | الإسلام وفن العمارة | د. إسماعيل الفاروقي | 34 | 1402هـ/ 1982م | 191/12 | ٪6.28 |
| .8 | الغزو الثقافي في مجال الفنون | د. لويز لمياء الفاروقي | 45 | 1406هـ/ 1985م | 192/16 | ٪8.33 |
| .9 | حول الفن الإسلامي | د. عماد الدين خليل | 50 | 1408هـ/ 1987م | 208/07 | ٪3.36 |
| .10 | إسلامية الفنون المرئية | أ. أمينة سيد محمد | 54 | 1409هـ/ 1989م | 226/10 | ٪4.42 |

نسبة المواد أسلمة الفنون إلى مجموع الأعداد المدروسة تمثل: ٪9.67

**جدول رقم 2: نسب الأسلمة في محاور الفنون بالمجلة**

| المحاور | النسب |
|---|---|
| 1- النظرية الجمالية | ٪14.15 |
| 2- إسلامية الفنون المرئية | ٪9.23 |
| 3- جماليات السماع | ٪15.5 |